# الاستقلال الاستراتيجي:

## هل تنجح القوى المتوسطة في التحرك بشكل مستقل؟

**د. ألكسندرا سايتنكو**
خبيرة في العلاقات الجيوسياسية
وباحثة مشاركة في معهد
السلام– ألمانيا

**إذا نظرنا إلى الخطاب السياسي في السنوات الثلاث أو الأربع الماضية، نجد أنفسنا أمام مشهد حرب باردة جديدة لا مفر منها بين الولايات المتحدة والصين، فضلاً عن القلق العميق من هذا التطور؛ ففي بيان صدر في عام 2019، حذر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريش من انقسام عالمي بين أكبر اقتصادين؛ ما يخلق عالمين منفصلين ومتنافسين، لكل منهما عملته الخاصة وقواعده التجارية والمالية، واستراتيجياته الجيوسياسية والعسكرية ذات المحصلة الصفرية.**

وصف أورفيل شيل مدير مركز العلاقات الأمريكية الصينية، بعد ذلك بعامين، الأمر بأنه "دوامة انحدار خطيرة وسريعة". في حين أن نظرية النظام العالمي القائم على القطبية الثنائية بين قوتين عظميين: الولايات المتحدة والصين، وجميع الدول الأخرى بينهما، لا تزال واحدة من الروايات السائدة، كما أن الهجوم الروسي على أوكرانيا في 24 فبراير 2022، الذي تحول بسرعة إلى صراع عبر الأطلسي وأوراسيا له تأثير سلبي للغاية على الأمن الغذائي والطاقة العالمية من بين أمور أخرى؛ ما يجعل المواجهة بين الولايات المتحدة والصين تبدو أقل حدة.

### حراك الجنوب

أدت الحرب في أوكرانيا إلى إعادة خلط الأوراق الاستراتيجية، وأنتجت على الأقل ثلاثة اضطرابات أمنية وجيوسياسية أساسية[1]، لعل أولها تعزيز التحالف بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي عبر الأطلسي، وإعادة ظهور الناتو بوصفه تحالفاً دفاعياً جماعياً مع السويد وفنلندا المحايدة رسمياً لبدء عملية الانضمام إلى الناتو، وقد انضمت فنلندا إلى الناتو في أبريل 2023. الأمر الآخر هو تقارب الصين وروسيا وتأسيس تحالف عسكري سياسي يتجاوز مستوى حقبة الحرب الباردة. ولم تُدِن الصين روسيا في مجلس الأمن باعتبارها معتدياً، وفي

الوقت نفسه، دعت إلى مفاوضات السلام وقدمت مقترحاً للتسوية السياسية في فبراير 2023.

والتطور الأكثر أهمية ما يتعلق ظهور مجموعة دول تسمى دول الجنوب العالمي التي تسعى جاهدة للحفاظ على استقلالها وسط المواجهة العسكرية الأوروبية ووضع نفسها وسيطة بين الأطراف المتحاربة؛ حيث تشير بعض التقديرات إلى أن التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا هو عنصر من عناصر المنافسة بين القوى العظمى في فترة ما بعد الحرب الباردة، وأن الحرب المستمرة في أوكرانيا هي نذير تحول عالمي من نظام دولي يهيمن عليه الغرب إلى نظام دولي متعدد الأقطاب.

في الواقع، تشير مشاركة البرازيل أو جنوب أفريقيا أو المملكة العربية السعودية في البحث عن حل للصراع العسكري في أوروبا إلى حدوث تحول في الوقت الحالي. ويبدو أن الحلفاء عبر الأطلسي غير قادرين على إيجاد طريقة مناسبة للخروج من الصراع الساخن. في حين تقدم القوى المتوسطة في أفريقيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية مساهمتها باعتبارها من أصحاب المصلحة[2].

**في حين تمثل القوى المتوسطة الناشئة أيضاً مجموعة غير متجانسة من حيث تطورها التاريخي، وثقلها الاقتصادي، ومصالحها الوطنية، فإنها جميعاً في الوقت الحاضر متحدة بالرغبة في إصلاح الإطار القائم للنظام العالمي.**

## القوى المتوسطة

إن مصطلح "القوى المتوسطة" هو فئة تحليلية تنطبق على الدول التي لا تتمتع بنفوذ مثل القوى العظمى، ولكنها لا تزال تتمتع بتأثير كبير على الساحة الدولية. وكما هو الحال مع مصطلح "الجنوب العالمي"، فإنه يصف مجموعة غير متجانسة من الدول. في الأساس، علينا أن نميز بين القوى المتوسطة التقليدية، مثل كندا أو أستراليا أو اليابان، المندمجة بقوة سياسياً وعسكرياً في الكتلة عبر الأطلسي، وبين القوى المتوسطة الناشئة، مثل الهند أو البرازيل أو جنوب أفريقيا أو المملكة العربية السعودية، والأخيرة هي موضوع هذا التحليل[3].

ومن خلال محاولة هذه القوى العمل وسيطةً في الأزمة الأوكرانية، فإنها تضع نفسها باعتبارها عناصر فاعلة مهمة في سياسة السلام والأمن العالمية. ومع ذلك، فإنها تهتم على المدى الطويل بإعادة هيكلة النظام العالمي بطريقة تسمح لها بتوسيع وتعزيز استقلالها الاستراتيجي، وهو ما يعني اتخاذ قراراتها الخاصة بشأن متى ستتعاون وفي أي مجال، وكيف، ومع من ستتعاون، على أساس المصالح الوطنية وأفضليات السياسة الخارجية، دون أن تكون مقيدة من قبل بلدان أخرى[4].

وفي حين تمثل القوى المتوسطة الناشئة أيضاً مجموعة غير متجانسة من حيث تطورها التاريخي، وثقلها الاقتصادي، ومصالحها الوطنية، فإنها جميعاً في الوقت الحاضر متحدة بالرغبة في إصلاح الإطار القائم للنظام العالمي. وفي الوقت الحالي، هناك العديد من المؤشرات التي تشير إلى أنها قد تنجح في هذا المسعى العسير.

عند الحديث عن قمة مجموعة العشرين التي انعقدت بنجاح في نيودلهي، في سبتمبر 2023، كشف "شيربا أميتاب كانت" رئيس مجموعة العشرين الهندية، عن الجهود المكثفة لصياغة فقرات بشأن أوكرانيا في البيان المشترك للقمة، وشدد على التعاون الحاسم بين الهند والبرازيل وجنوب أفريقيا وإندونيسيا، بدعم قوي من القوى المتوسطة الأخرى مثل السعودية والمكسيك والأرجنتين وتركيا، وهو التعاون الذي ساعد في الحصول على تأييد الصين وروسيا ومجموعة السبع.

## انتصار التعددية

في حين أن النتيجة المحققة بالنسبة إلى رئيس مجموعة العشرين ترمز إلى "انتصار التعددية"، فإنها تعكس بوضوح أيضاً قدرة القوى المتوسطة الناشئة على المناورة بين الكتل المختلفة دون تبني مواقفها في القضايا المتضاربة أو التخلي عن مبادئ ومصالح سياستها الخارجية. إن الانضمام المعلن رسمياً للاتحاد الأفريقي من شأنه أن يمنح القوى الناشئة وزناً أكبر داخل مجموعة العشرين، التي لعبت فيها دول مجموعة السبع حتى الآن دوراً مهيمناً.

ومن المؤشرات الأخرى التي تشير إلى أن الصوت الجريء للقوى المتوسطة أصبح له وزن أكبر هو اعتراف أعضاء مجموعة السبع بمطلب الدفع من أجل إصلاح المؤسسات السياسية والمالية المتعددة الأطراف. ووعد الرئيس الأمريكي جو بايدن بالحث على عملية إعادة تشكيل وتوسيع بنوك التنمية المتعددة الأطراف بشكل أساسي، وخاصة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي. وفي الفترة التي سبقت المناقشة العامة للأمم المتحدة عام 2023، دعت وزيرة الخارجية الألمانية أنالينا بيربوك إلى

إجراء إصلاحات أساسية في نظام الأمم المتحدة، مشيرة إلى الحاجة الملحة لجعلها أكثر عدالة وشمولية وقدرة على اتخاذ الإجراءات اللازمة.

وفي إعلان نيودلهي، أكد أعضاء مجموعة العشرين الحاجة إلى متابعة إصلاح منظمة التجارة العالمية والالتزام بهدف "وجود نظام كامل وفعال لتسوية المنازعات ومتاح لجميع الأعضاء بحلول عام 2024". إن المناقشات حول الإصلاح ليست جديدة على الإطلاق؛ فهي مستمرة منذ عقود؛ حيث تطالب البلدان النامية بالتعاون العادل والمنصف والقائم على القواعد. فقد أعلنت البرازيل، على سبيل المثال، في عام 1993 أن إصلاح المؤسسات المالية العالمية يشكل أولوية لسياستها الخارجية من خلال توسيع العلاقات مع الصين وروسيا والهند. يبدو أن السعي إلى إيجاد حل للمخاوف المذكورة أعلاه يكتسب زخماً مع تزايد المنافسة بين القوى الكبرى على النفوذ الاقتصادي لصالح بلدان الجنوب العالمي.

إن احتمالات استمرار قضية إصلاح النظام المتعدد الأطراف لصالح القوى الناشئة في اكتساب المزيد من الاهتمام في السنوات المقبلة مرتفعة؛ نظراً إلى أن البرازيل وجنوب أفريقيا ستتولى رئاسة مجموعة العشرين في عامي 2024 و2025 على التوالي. وقد أشارت البرازيل بالفعل إلى أن إصلاح المؤسسات المتعددة الأطراف (البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومجلس الأمن التابع للأمم المتحدة) سيكون موضوعاً رئيسياً لرئاستها. وإذا تمكنت دول مجموعة العشرين من إحداث تحرك ملحوظ في أجندة الإصلاح، التي تم تأكيدها لسنوات – ولكنها لم تحرز أي تقدم – فإن هذا من شأنه أن يعزز استقلال القوى المتوسطة على الساحة العالمية.

## تشكُّل التحالفات

مؤشر آخر على تزايد نفوذ القوى المتوسطة هو الطبيعة المتغيرة للتحالفات الدولية. تُميز نظرية التحالف الكلاسيكية بين شكلين من أشكال بناء التحالف: موازنة الدول الأضعف ضد دولة مهيمنة، وتحالف الدول الأضعف مع الدولة المهيمنة[5]. ما نلاحظه حالياً هو أن التحالفات الجديدة لم تعد تتشكل حصرياً حول القوى المهيمنة أو القوى العظمى (كما كان الحال في القرنين التاسع عشر والعشرين)، بل بين القوى المتوسطة بمشاركة قوة عظمى على قدم المساواة.

### تجارة الأسلحة بين روسيا والصين خلال الفترة (2008-2022)

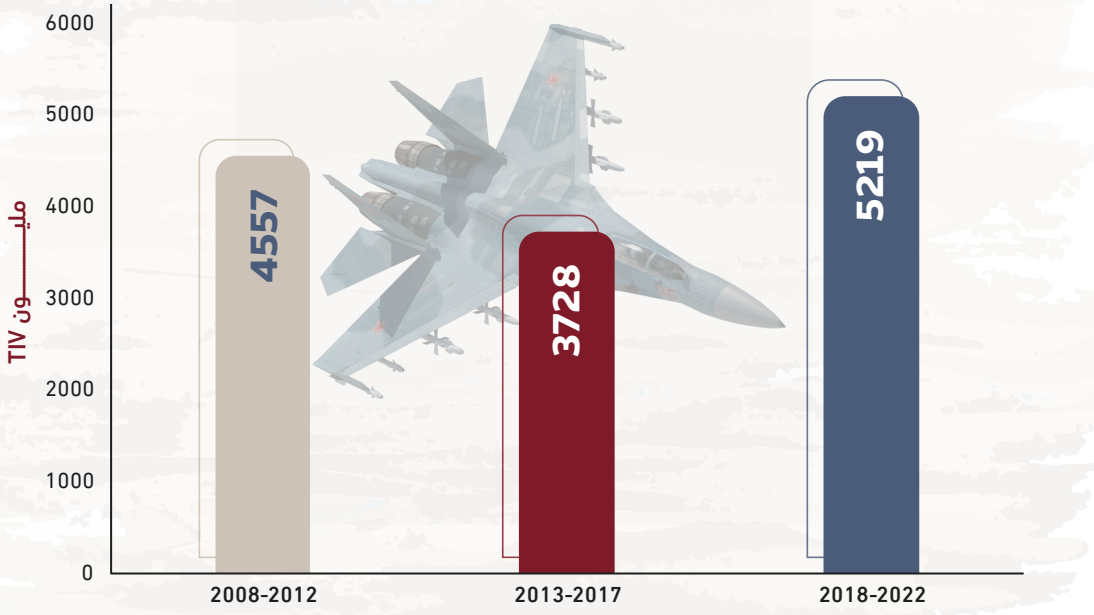


* وحدة قياس الـ TIV: هي وحدة لقياس حجم عمليات النقل الدولية للأسلحة وتدفقاتها، غير أنها لا تعتمد على أسعار مبيعات الأسلحة، ولكنها تعتمد على مقياس مجمّع من عدد من المتغيرات مثل الوزن، الحجم، السرعة، المدى، نوع الإلكترونيات بالأسلحة، سنة انتاج الأسلحة.. إلخ

**Source:** TIV of arms exports from Russia, 2022-2002, **SIPRI,** Accessible at: https://armstrade.sipri.org/armstrade/page/values.php

على سبيل المثال، تم إطلاق التحالف العالمي للوقود الحيوي في 9 سبتمبر 2023 على هامش قمة مجموعة العشرين في نيودلهي بين الهند وسنغافورة وبنجلاديش وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل والأرجنتين وموريشيوس والإمارات، كما تم الإعلان عن الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا كتحالف جديد للبنية التحتية يضم الهند وإسرائيل والأردن والمملكة العربية السعودية والإمارات والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وهو التحالف الذي من المتوقع أن ينشئ شبكة من الطرق البحرية والسكك الحديدية التي تربط بين الهند وأوروبا والشرق الأوسط وشبه القارة الهندية إلى أوروبا عبر الشرق الأوسط، بجانب توسيع الفكرة الرئيسية والنطاق الإقليمي لتحالف البريكس من خلال قبول القوى المتوسطة، مثل إيران والإمارات والسعودية والأرجنتين ومصر وكذلك إثيوبيا، أعضاء جدداً، التي تمثل قوة كبيرة من حيث السكان والموارد والجغرافيا[6].

وختاماً، فإنه من بين العمليات المهمة التي ينبغي مراعاتها في السنوات المقبلة هي دينامية القوة بين القوى المتوسطة الناشئة نفسها. ومن الأهمية بمكان أن يتم حل الخلافات القائمة بالوسائل السلمية والحوار فقط؛ لأن الدخول في منافسة أو حتى مواجهة بعضها بعضاً من شأنه أن يشكك في تحالفاتها وكذلك استقلالها. ومن المفترض أنه من أجل أن تكون قادرة على توسيع استقلاليتها وطرح مصالحها، سيكون من الأهمية بمكان بالنسبة إلى القوى المتوسطة الناشئة أن تشارك بنشاط في المؤسسات الدولية القائمة، مثل الأمم المتحدة ومنظماتها، ولكن عليها أن تسعى أيضاً إلى تحقيق أهدافها عبر توحيد التحركات والأهداف في المديين القريب والمتوسط.

## المصادر:


1- Iliya Kusa, Russia-Ukraine War: Harbinger of a Global Shift A Perspective from Ukraine, **Policy Perspectives,** Vol. 19, No. 1, 2022, pp. 7-12.

2- Brazil Presidential Adviser Met Putin to Discuss Peace Talks for Ukraine, **kyiv post**, April 4, 2023, Accessible at: https://www.kyivpost.com/post/15351

3- See definition of “middle power”: https://www.britannica.com/topic/middle-power

4- See definition “strategic autonomy”: https://idsa.in/askanexpert/strategicautonomy_indiasecurity

5- Stephen M. Walt, Alliance Formation and the Balance of World Power, **International Security**, Vol. 9, No. 4, Spring, 1985, pp. 3-43.

6- Ciuriak, Dan, **Expansion Aside, the BRICS’ Path to Growth Is Unchanged: It’s Technology**, Centre for International Governance Innovation, Waterloo, August 24, 2023, Accessible at: https://ssrn.com/abstract=4553375